ثلاثية العناصر عند بابيرون ، گۆران و نازك الملائكة

دراسة بنيوية مقارنة

نيان نوشيروان فؤاد- قسم اللغة العربية -كلية اللغات -جامعة السليمانية

التمهيد:

بما ان ألادب المقارن يدرس الصلات، بكل أنواعها، بين الآداب المختلفة، فانه في الوقت نفسه يعد من الحقول الحيوية في مجال الدراسات البنيوية التي تفتح أبواب التطور للأدب المقارن. دراستنا هذه قائمة على تحليل نموذج من الشعر الكردي و العربي و الانگليزى وفقا لثلاثية العناصر المكونة من مواد : الصلب، السائل، الهواء ـ اذا ان مثل هذه العناصر تتكرر حينا حينا وتشابه حينا آخر... فمن المؤكد جدا ان هذه المواد مأخوذة من الطبيعة: الحالة الصلبة (Solid) الحالة السائلة (Liquids) الحالة الغازية (gas) (١).

التطبيق:

في قصيدة (پايز) للشاعر الكردي المعاصر " گۆران " نلاحظ ان الشاعر على عكس من شعراء عصره، لم يقلد النماذج الشكلية التي توصل اليها وانما راح يخوض في تجارب ذات المصادر المتعددة وكل ذلك للوصول الى شكل يعبر عن افكاره الكثيرة. لقد كان گۆران من الشعراء الأكثر شجاعة وجراءة في معالجة شتى الموضوعات و الاساليب و الاشكال. وبشكل آخر، فانه تمرد ضد واقعه الادبي وراح يوسع مخيلته ويغنيها بالصورة الجديدة، أي انه استفاد من التقنيات الاوروبية ولكن لم يجعل من تلك الأساليب قضية أساسية وانما بالعكس فان الخلق الجديد مرتبط بهذه المخيلة التي تعتمد على عدة عناصر. ثراث الشعر الاوروبي، التراث الذاتي. كل هذا خلاصة صراع وبحث واكتشاف وان گۆران منذ البدء وبهدوء حاول ان يكتشف واقع المجتمع الكردي. هذا الواقع الذي سيقدم بوساطته كشفا عظيما عن المستوى النفسي لنماذجه المختارة بدقة متناهية كما نرى

في قصيدته هذه. فالانسان أولا والمرأة ثانيا والطبيعة ثالثا عنده حزن يتوثب ويحاول من خلاله ان يخلق فيه طاقة تعبيرية تحدد طريقة البحث والانتماء ولربما من هنا تبدأ مأساة گۆران مع جيله.. على أية حال، تجد في هذه القصيدة الدلالات المعنوية وهي صلبة وجامدة حيث الألم والتحسر والعجز حصرت شاعرنا الى درجة انه لا يستطيع بسهولة أن يفر منها. ولهذا منذ البداية بدا بعنوان القصيدة "پايز" نرى بوضوح انه يلجأ الى الطبيعة التي ربما بامكانها اما معالجة حسه الرقيق أو على الأقل ان تداوي حاله النفسي السيء (٢):

پايز پايز
بووكى قژ زەرد
من مات تۆ زيز
هەردوو هاو دەرد

فان الفاظ أو عبارات " بووكى پرچ زەرد، مات زيز " تشير الى الحزن وعدم قدرة الشاعر على الحركة وتقيده الشديد بنوع خاص من السلاسل كما يتبين أكثر وضوحا في هذه الابيات:

پايز پايز
شان و مل رووت
من مات تۆ زيز
هەردوكمان جووت

ثم نجد بعد هذه الالفاظ والمقاطع، ان الشاعر نتيجة يأسه وعدم تحققه لما يريد أو ينتمي، يتحول الى حركة معينة بفعل استخداماته لالفاظ : فرميسك، باران، گريان وهي دلالات معنوية مائية. السائل :

هەرچەند گولّ سيس ئەبى بگرين
ئالتونى دار ئەرژى بگرين
بگرين بگرين چاومان نەسرين
.....
من فرميّسكم تۆ بارانيت

وبعد أن استفاد الشاعر من هذه الحلة النفسية عن طريق الالفاظ التي ذكرناها، يلجأ الى حالة آخرى وهي أكثر انسجاما وحلا لحالته هذه. وهذه الحالة الجديدة ـ الاخيرة تأتي عن طريق الالفاظ : هەناسه،باى سارد، فرين، وهي دلالات معنوية هوائية:

من هەناسەم ، تۆ باى ساردت

.....

پۆلى باڵدار ئەفرى بگرين

وان هذه الحالات الصلب، السائل، الهواء تتحد من اجل غاية وهي معرفة دلالته الانسانية والفنية والتي تشكل حافزا للفهم والتذوق عند الملتقي اولا و ثانيا تكشف عن وثيقة لروح الانسان وواقع المرحلة، من هنا فان مأساة گۆران تتضح بجلاء وعلى الرغم من ان الشاعر لجأ الى هذه الحالات الثلاث الا انه بالنتيجة لم يستطع تخفيف مآربه وآماله كما يتضح في البيت الاخر من القصيدة:

من خەم تۆ هەورى گريانت

دوايى نايه دادم دادت

أما قصيدة "الزهرة السوداء" (3) للشاعرة العراقية نازك الملائكة وهي احتفالية فيما بين الطبيعة والحياة، وان الشاعرة تحاول ان تعيد للاذهان فكرة ان الشعر لا ينفصل عن البيئة والواقع وعليها من اجل اصالتها ان تنطلق من مكوناتها الروحية والواقعية وبهذا التوجه نظمت عشرات القصائد التي تصور الطبيعة البيئة الاجتماعية وصور المدينة الخزينة والمهجورة ولكن بروءية انطباعية تمزج العمل الفني ذلك الاحساس بالحب او الصلة الحميمة.. وان القارىء بعد ذلك بامكانه ان يكشف ان (الملائكة) ارادت ان تمزج بالانطباعية رؤية التعبيرية – الذاتية القلقة – وتجعل من شعرها وثيقة اجتماعية، نفسية وحركية واقعية... وهذا مانلاحظها في قصيدتها هذه بدء بعنوان القصيدة – الزهرة السوداء– والتي نحس في داخلها بالاحتفالية وهنا المقصود بالاحتفالية هو تجسيد المناخ الشعري الذي يحصل من العمل الفني بالبنية الكونة ببراعة التقنية وفق الفكرة الاساسية الموجودة في القصيدة، والملائكة خلال حياتها الشعرية والادبية استطاعت ان توظف قلقها باتجاه، تاصيل مناخ اجتماعي يتكون من دلالات وحقائق كلها ترتبط بذاكرة انفعالية. ففي هذا القصيدة بالذات نرى الشاعرة لم تتقيد باسلوب فني محدد وانما تركت لذاتها حرية التعبير وفق ثلاثية العناصر فان دلالات الموت والحزن والعجز، التي سيطرت على مجرى القصيدة، فهي دلالات معنوية صلبة تشير الى فقدان التوازن وعدم قدرة الشاعرة في الوصول الى ايجاد ماهو مطلوب..

كنزنا الغالي تركناه هنا
لحظات ثم اسرعنا اليه
والتمسناه وراء المنحنى
وعلى التل فلم نعثر عليه

تدريجيا، ترى ان الشاعرة تريد ام تحاول ان تختار هذه المرحلة وصولا الى مرحلة اخرى وهي بنظر الشاعرة، اكثر صرامة وعلاجا فان الفاظ دمع، دوع... في المقطع التالي هي دلالات معنوية غير جامدة الواردة – مائية – وهي في خدمة المقطع الاول من القصيدة:

وسقاها دمعنا لينا ونضره
فمنحناها ماقينا السحينة
وحملناها مع الذكرى وعدنا

ثم لاتكفي الشاعرة بهذا القدر بل تريد ان تحرك نفسها الى فضاء اخر – الهوائية – من اجل تجسيد الحياة في تألقها الانساني وليس العربي فقط وان الرؤية الجمالية لهذه الحالة الاخيرة هي التامل في الانسان واحيانا الطبيعة ومحاولة اكتشاف صلتها بالانسان من جهة وبالمطلق من جهة اخرى. فان الفاظ: الهمس، الريح ، الموسيقي، الجو الرياح – هي دلالات معنوية حركية هوائية في خدمة هيكل القصيدة او ربما لفك مشكلات انسانية واقعية وبعد ذلك، ارادات الشاعرة ان تبني الحضارة الجديدة في بناء الانسان الجديد:

كلما مرت بهاريح الصباح
بعثت في الجو موسيقي خفية
وانينا خافتا مك الرياح
كمنت فيه دموع البشرية

اما في قصيدة "when we two parted" (4) للشاعر الرومانسي الانكليزي Byron نجد ايضا نفس دلالات الحزن والتشاؤم العجز والكآبة وعدم القدرة على الحركة فالمرأة عنده من الناحية الادبية، او بالاحرى من خلال فلسفته فاضلة ونقية وانها في الوقت نفسها تعويض عن الحياة الاجتماعية الغائبة او عن الامومة والحنين اليها فهي بهذا المستوى حاجة ضرورية انسانية لايكن الاستغناء عنها هنا وبالذات في القصيدة، ان الرؤية الجمالية كقصيدة الملائكة هي التأمل في الاسنان وهذه الرؤية تريد ان تحيلنا الى معضلة الانسان والشاعر: أي ايجاد الجسر بينها لصالح

انسان موحد متوحد اكثر تكاملا واكثر تعبيرا عن نماء الحضارة. أذن ان المرأة عند Byron هي طاقة تعبيرية تفوق الحدود الشائعة والانانية وان الشاعر ينقلنا الى حالة من الصوفية، لذا نجد من البداية بدءاً بعنوان القصيدة "when we two parted" ان الحزن والكأبة هما المحوران هما المحوران الاساسية في القصيدة ان هذه المحصلة تكشف لنا:

أولا: عن حجم الشاعر

ثانيا: عن بحثه الدائم دون كلل عن شخصيته الاجتماعية

ثالثا: عن طريقة البحث عما هو مفقود في عصره لكن دون افتعال أو فنتازيا

when we two parted
in silence and tears
half broken – hearted
to sevet for years
pale grew they cheek and cold
colder thy kiss
truly that hour foretold
sorrow to this
the dew of the morning
sunk chill on my brow

نجد ان الفاظ: parted, silence, years, pale, cold morning, sorrow هي دلالات معنوية جامدة وصلبة لاتؤدي الى فك العقد الاساسية الا بتحرك الشاعر نحو اتجاه اخر أكثر وضوحا وملائمة لاحساسه وقلقة النفسي.

فان الفاظ tears, dew, sunk على الرغم من انها دلالات الحزن الا انها هي دلالات معنوية غير جامدة وتشير بوضوح الى ان الشاعر، في حالة نفسية غير مستقرة ويحاول ايجاد الحلول.

ان هذه الالفاظ رغم ارتباطها لقطع الاول من القصيدة، الا انها تحيلنا الى دلالات اخرى ذات تأثير عاطفي أكثر الشاعر يتعامل بالحس ولكنه يجسد هذا المقطع باختيارات ذاتية تكتشف عن محتوى القصيدة نفي المقطع الاول تبقى الحالة كجزء من أثر دمره الزمان اما في مقطع الثاني فان الحالة

مرتبطة بشكل مباشر وصريح بمقاصد الشاعر والقصيدة لم تنته بعد الشاعر لايزال بحاجة الى حالة اخرى لكي تتيح لنا مزيدا من التأمل لانقاذ القصيدة من وقوعها لنرى ماذا يقول الشاعر:

and light is thy fame
they name thee beforeme
a knell to mine ear

فالشاعر هنا يطير في فضاء هوائي ضمن الفاظ: light, eair ويريد، في الوقت نفسه ان يكشف لنا عن مدى قلقه وبحثه الدائمين وان قلقه هو جزء من طبيعة القلق الابداعي الذي يشكل سمة من سمات الشاعر في مرحلة لم تتسم بالهدوء والوضوح..

من هنا نفهم ان ما انجزه كل من كوّران و الملائكة و Byron من الفاظ ودلالات انهم قد عبروابها عن هاجس التحرر والرغبة في بناء المجتمع السليم في اشكال عدة ابرزها انهم ابتدؤ من خصوصيات المجتمع وفهم مكوناته وانهم رسموا موضوعياتهم لا لذاتهم فقط وانما لتجسيد صورها و واقعها المظلم .

(القاعدة البنائية الموجودة في القصائد)

النموذج الاول

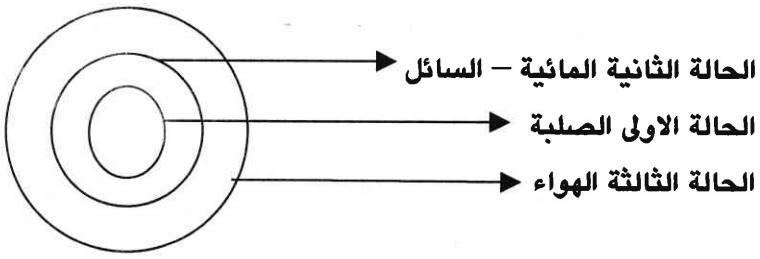

النموذج الثاني

قصيدة پايز

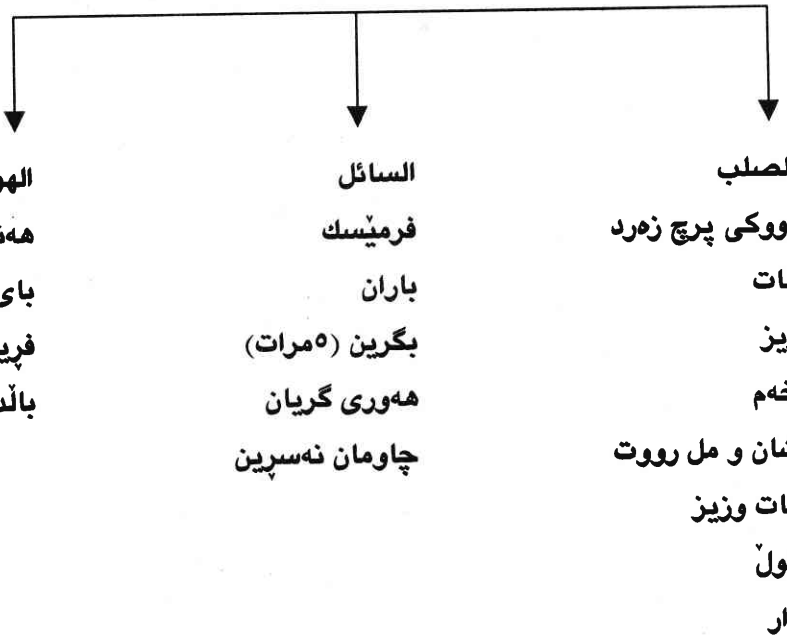

قصيدة الزهرة السوداء

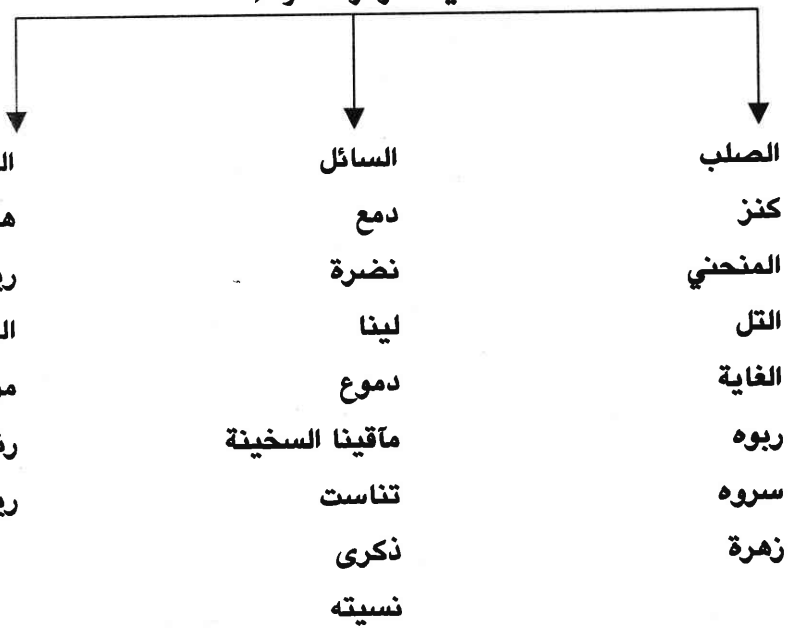

النموذج الثالث

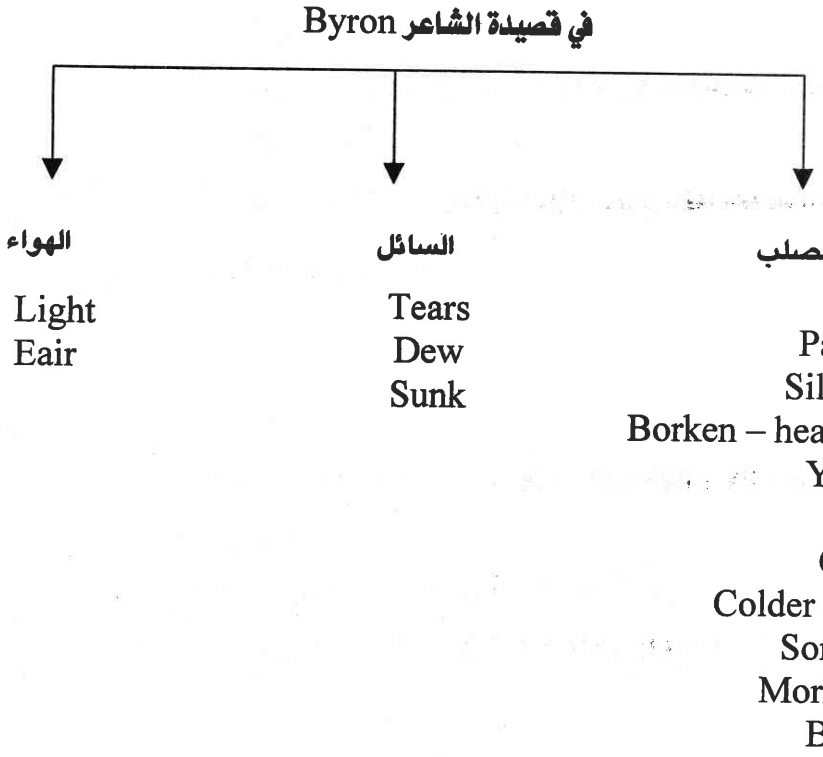

نتائج البحث

خلال هذه العناصر الثلاثة وتطبيقها على النماذج الشعرية المذكورة في البحث توصلنا الى النتائج الآتية:

١- القصائد التي تعتمد كليا على التحسر والألم والعجز تكون القاعدة البنائية للعناصر كالآتي :

الصلب > السائل والهواء

٢- القصائد التي تعتمد كليا على الموت تكون القاعدة البنائية للعناصر كالآتي:

السائل > الصلب والهواء

٣-القصائد التي تعتمد على الحيوية والحركة والتفاؤل تكون القاعدة البنائية للعناصر كالآتي:

الهواء > الصلب والسائل

الهوامش

١- university chemistry, bruce H. MAHAN, P.31

٢- ديوانى گۆران ، ل ١٦٣

٣- ديوان نازك الملائكة م ٢ ، ص ٣٢٠، ٣٢٢

٤- ENGLISH VERSE, WPEACOCK, p219

المصادر والمراجع

١. ENGLISH VERSE, WPEACOCK, OXFORD. 1966

٢. University chemistry, bruce H.MAHAN, U.S.A, 1966

٣. ديوان گۆران، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٨٠

٤. ديوان نازك الملائكة، دار العودة بيروت ط ١٩٧١